

## وبالشكر تدوم النعم



◀ الحمد □ المستحق الحمد والشكر والصلاة والسلام على حامل لواء الحمد وصحبه حامدين الشاكرين.

وبعد أيّها الأخ الكريم، فإنّ النعم لا تدوم على أصحابها إلا إذا أدوا حقها من الشكر والطاعة، وحافظوا عليها من الإسراف والمعصية، كما يقرر ذلك ربّ العالمين بقوله: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم/ 7)، هذه الآية هي إعلام صريح بأنّ النعم تزداد بالشكر وتنقص بالكفران، وأنّ من سُنن □ عزّ وجلّ أن يبتلي عباده بالخير والشر ليمتحنهم هل يشكرون في السراء وهل يصبرون على الصراء، فيقول: (وَزَيَّلْنَاكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء/ 35)، غير أنّ المؤمن المحتسب يثاب في كلا الحالين، كما يخبرنا بذلك الصادق الصدوق فيقول: "عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله له خير، إنّ أصابته سرّاً شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاً صبراً فكان خيراً له"، وبما أنّ الأيام دول يداولها □ بين الناس يختبر بها شكرهم وصبرهم وإيمانهم كما في قوله تعالى: (أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً مِّن دُونِ اللَّهِ فَتَنَّا الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَلَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ إِذْ كَانُوا مِن دُونِ اللَّهِ يُشْرِكُونَ بِهِمْ أَفَلَا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت/ 2-3).

أخي الكريم، إنّ □ عزّ وجلّ جعل زينة الحياة الدنيا امتحاناً لعباده فقال: (إِنَّ زِينَةَ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَسْنَا بِمُخْلِصِينَ لَهُمْ مِنْهُم مَّا يُرِيدُ) (البقرة/ 21)، فالعاقل من يحسن استغلال هذه النعم في طاعة مولاه ليفوز برضاه في الدنيا والآخرة، والأحمق الجاهل العاجز هو من يسيء استعمالها فيقع في سخطه وعقوبته في الدنيا قبل الآخرة، إذ إنّ من أكفر الكفران أن يضع العبد نعم مولاه في معصيته ويستعملها في التعدي على حدوده، كما أنّ من أنكر نكران الجميل أن يسيء المرء لمن أحسن إليه، و□ سبحانه وتعالى يحسن إلينا صباح مساء في الصحة والعافية، في المال والبنين، في الرزق والأمن، فكم يحسن إلينا ويسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، غير أنّ أكثرنا وللأسف لا يراها ولا يحس بها فلا يشكرها إلا لصماً، كما قال: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِوَالِدَيْهِ وَقُولُوا لِلَّهِ حَسْبًا وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (لقمان/ 13)، (وَلَا تَكُن مِّنَ الْكَافِرِينَ) (الأنبياء/ 17)، فكم يكون جميلاً لو نكون من هذا القليل فإنّ الكرام دائماً قليل.

ولقد قص □ علينا قصة قوم سبأ الذين امتحنهم □ بالخيرات الوفيرة في ذلك البلد الطيب هواؤه، المعتدل مناخه، الخصيب تربته، فكان منظره الجميل يسرّ الناظرين، وهوؤه العليل يشفي السقيم، وبساتينه المثمرة تشبع الأكلين، لقد كانوا في نعيم مقيم لكنهم بطروا معيشتهم، وركنوا إلى الترف

والدعة، فلم يؤدوا شكر النعمة لخالقهم بل نسوه فنسيهم وأغفلهم عن ترميم سدّهم المنيع، فكأن أن انفجر في ليلة ليلاء، فقد فاضت هذه الملايين من الأمطار المكعبة من المياه تجرف أمامها كلّ أخضر ويابس، وتقتلع كلّ نبات وبنيان، وتغرق كلّ إنسان وحيوان، حتى أصبحت البلاد بين عشية وضحاها فاعاء صفصفاً، كأن لم تكن بالأمس وكان لم يغنوا فيها. ولم يكفهم أنهم كفروا النعمة بل تعدوا ذلك إلى الترفّع على الناس ومحاولة احتكار الخيرات من دونهم فقال الله فيهم: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ سَبِيلًا وَالْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً \* وَقَدَّرْنَا بِهَا السَّيْرَ سِيرًا وَسَبِيلًا لِيَالِيٍّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ \* فَقَالُوا رَبَّنَا فِيهَا السَّيْرُ سِيرًا وَسَبِيلًا لِيَالِيٍّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ \* فَجَعَلْنَا هُمْ أَجَادِيثَ وَمَزَّقْنَا هُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (سبأ/ 19-18).

أخي المسلم، إنَّ أعظم نعمة أنعمها الله على الناس هي الأمن والكفاف وقد امتنَّ الله على قريش بهاتين النعمتين فقال: (فَلَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ هَذَا الْعَبْدُ \* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ) (قريش/ 3-4)، إذ بدون هذين الركنين لا طعم للحياة، فماذا تفيد القناطر المقنطرة إذا انعدم الأمن؟ وماذا يفيد الأمن إذا انعدم الكفاف؟ وللحصول على هذين الصنويين، لابد من شكر الله عز وجل وعبادته والابتعاد عن معصيته، والرأفة بعباده.

عافانا الله وإياكم من زوال نعمه، وأعادنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وجزينا البعوي والطغيان في الأرض، وختم لنا بما ختم لأحبابه وأوليائه. ►